



ISSN: 2957-3874 (Print)

Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)

<https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95>

مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي



الرمز والتبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية

قتيبة قاسم مزعل التميمي

رئاسة جامعة بغداد/قسم شؤون الأقسام الداخلية

Symbolism and Social Exchange in Iraqi Culture

Qutaiba Qasim Muzal Al-Tamimi

Presidency of the University of Baghdad/Department of Internal Affairs□

Qutaiba.q@coeduw.uobaghd.edu.iq

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث العلمي إلى دراسة الرمز والتبادل الاجتماعي منها المادي ومنها المعنوي في الثقافة العراقية، وما تحمله هذه الثقافة من معاني ودلالات تعكس قيم المجتمع ومعتقداته وعاداته، وما يخص التبادل الاجتماعي، وطبيعة العلاقات والممارسات اليومية، التي تعزز التماسك الاجتماعي وتحافظ على التراث الثقافي. فضلاً عن الممارسات الاجتماعية، مثل تبادل الهبة والهدايا، وتأثيرها على الأفراد والمجموعات، لأن تبادل الهبة والهدايا ظاهرة تضم العديد من الجوانب، منها: الاقتصادية والدينية والأخلاقية والقانونية والجمالية، أي أنها لا تقتصر على جانب واحد، إنما هي تمثل التكامل للمعطيات الحياتية والمتمثلة في التبادل الاجتماعي للثقافة العراقية. تكون البحث من مقدمة تناولت بوساطتها دور الثقافة العراقية، وطبيعة الرمز والتبادل الاجتماعي في تشكيل التفاعل الاجتماعي، من ثم فإن الثقافة تحمل معاني ودلالات تعكس قيم المجتمع ومعتقداته. كما تم بيان مشكلة البحث، إذ أكد الباحث على المشكلة عبر التساؤل: هل أن الرمز في التبادل الاجتماعي يلامس الثقافة العراقية؟ وهل أن التبادل بين الأسر والعائلات (الهبة والهدايا) لم يكن بعيداً عن العادات والتقاليد؟ بعدها تم تحديد المصطلحات. وتناول الباحث الإطار النظري عبر بيان (التبادل بين الأسر والعائلات "الهبة والهدايا") و (التبادل بين الأنساب "الهبة والهدايا") و (التبادل بين المراتب الاجتماعية) و (التبادل بين المراتب الاقتصادية)، ليخرج الباحث بعدها بالخاتمة (ملخص الدراسة). ليتم أخيراً تثبيت مصادر البحث.

الكلمات المفتاحية: (الرمز - التبادل الاجتماعي - الثقافة العراقية)

Research Summary:□

This scientific research seeks to study symbolism and social exchange in Iraqi culture, and the meanings and connotations this culture carries that reflect society's values, beliefs, and customs. This includes social exchange, the nature of relationships, and daily practices that enhance social cohesion and preserve cultural heritage. This research also examines social practices, such as the exchange of gifts, and their impact on individuals and societies. The exchange of gifts is a phenomenon encompassing many aspects, including economic, religious, moral, legal, and aesthetic aspects. In other words, it is not limited to a single aspect, but rather represents the integration of life's realities, represented by the social exchange of Iraqi culture. The research consists of an introduction that addresses the role of Iraqi culture and the nature of symbolism and social exchange in shaping social interaction. Therefore, culture carries meanings and connotations that reflect society's values and beliefs. The research problem was also stated, with the researcher emphasizing the problem by asking: Does symbolism in social exchange touch on Iraqi culture? And is the exchange between families (gifts and gifts) not far removed from customs and traditions? Terminology was then defined. The researcher addressed the theoretical framework by explaining (exchange between families and households "gifts and gifts"), (exchange between lineages "gifts and gifts"), (exchange between social ranks), (exchange between economic ranks), and (exchange between social ranks). The researcher then concluded (a summary of the study). Finally, the research sources were identified. Keywords: (Symbol - Social Exchange - Iraqi Culture)

في الثقافة العراقية، الرمز والتبادل الاجتماعي يلعبان دوراً هاماً في تشكيل الهوية والتفاعل الاجتماعي، الرمز سواء كانت مادية أو غير مادية، فأنها تحمل معاني ودلالات تعكس قيم المجتمع ومعتقداته، ومنها ما يخص التبادل الاجتماعي، وطبيعة العلاقات والطقوس والممارسات اليومية، التي تعزز التماسك الاجتماعي وتحافظ على التراث الثقافي. وهناك ايضا بعض الممارسات الاجتماعية، مثل تبادل الهبة والهدايا وتبادل المهور بين العائلات والانساب، زيارة المرضى، حضور المناسبات الاجتماعية، كلها تعبر عن التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع. يتمتع العراق بوحدة من أقدم الثقافات الانسانية في العالم، ولطالما عكس العراق التنوع الثقافي والتبادل على الرغم من أن العراقيين عموماً هم شعب تحكمه العادات والتقاليد ومجتمع محافظ، رغم أن هناك اتجاهات علمانية قوية في البلاد، لكن المجتمع يحترم كل الطوائف والقوميات ويحتفل بمناسبات الجميع، وهذا يكرس معنى القيم التي يتم تكريمها في الثقافة العراقية، ومن بينها ايضا الكرم والتواضع. الرمز والتبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية قد ينزاح إلى الأسواق المحلية العراقية وما تتضمنه من كاركترات (شخصيات) وحرف، فهي جزء مهم من الثقافة الاجتماعية واقتصادية، مثالا لذلك سوق الصفاير الشهير في بغداد، وسوق الصاغة والمحترفون بتركيب الاحجار الكريمة في شارع النهر بجانب الرصافة في بغداد ومثله العديد من الاسواق، وايضا شارع المتنبي والرشد، ولما لهما من تأثير على طبيعة المجتمع العراقي وما يحمله من ذاكرة وانتماء لهذه الهوية الثقافية. وهناك المؤسسات الفنية منها المسرح والسينما ايضا لها دلالة تؤثر على التبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية، رغم ذلك، يبقى التبادل الثقافي يؤكد ويهتم بالضوابط والقواعد السلوكية والقيمية التي يقرها المجتمع ويعترف بها علماً بأن المجتمع العراقي يرتبط بالعادات والتقاليد التي تبلور اجتماعهم الانساني وتؤثر في شعورهم بتحقيق التعاون والالفة والمحبة بين الجميع. وعديدة هي العوامل التي ساعدت على النهوض بالمجتمعات، منها العوامل الثقافية التي ساعدت على الارتقاء بالحياة المدنية والمظاهر الحضارية، وعوامل اجتماعية ترتبط بالأفعال والسلوك تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر اجتماعية تستمد قوتها من الضرورة للتبادل الاجتماعي ومقتضياتها والتزاماتها، مثل آداب الحديث وقواعد السلوك العام واستقبال الضيوف وصلات ذوي القربى وزيارة المقابر ولبس الملابس الجديدة في أيام الاعياد. هذه الامور وما إليها عبارة عن عادات لا يرى الافراد بدأ من الخضوع لها ويرونها ضرورة في حياتهم. والعادات جزء هام في دستور المجتمع والافراد داخل العراق، وذلك لأنها راسخة في تكوينهم وتمثل دعامة جوهرية من دعائم تراثهم الاجتماعي، وهذه العادات لا تقتصر على طائفة معينة أو طبقة خاصة، بل أنها تمتاز بالعمومية والانتشار على أوسع نطاق داخل البيئات الاجتماعية العراقية. ومن عادات المجتمع في الثقافة العراقية، الهبة والهدية فهما جزءاً أساسياً في التبادل الاجتماعي، إذ تحملا دلالات رمزية عميقة تتجاوز القيمة المادية، فهي تعبير عن المودة والتقدير والاحترام والرفي والاعتبار، وتعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، كما تستخدم الهدايا لتبادل المشاعر الإيجابية بين الأفراد، سواء كانوا أفراداً من العائلة أو الأصدقاء أو حتى الغرباء، ومن ثم التأكيد على الروابط الاجتماعية عبر تبادل الهدايا، ليمتد تعزيز الروابط الاجتماعية وتقويتها، سواء كانت هذه الروابط عائلية أو صداقة أو علاقات عمل. وعليه، نرى أن العلاقة بين الرمز في التبادل الاجتماعي والثقافة العراقية تتخذ مسارات عديدة، وذلك لما تحمله هذه العلاقة من إشكالية، فهناك التبادل المعني بالبيئة، وهناك الرمز الذي يجسد طبيعة الثقافة في المجتمع العراقي، وهنا علينا أن نقف عند مشكلة البحث عبر الرؤيا المعرفية التي خرج بها الباحث وبمجموعة تساؤلات، وهي كالتالي:

١ - هل أن الرمز في التبادل الاجتماعي يلامس الثقافة العراقية؟

٢ - هل أن التبادل بين الأسر والعائلات (الهبة والهدايا) لم يكن بعيداً عن العادات والتقاليد؟

٣ - هل أن التبادل بين المراتب الاجتماعية يلامس الأنساب في الثقافة العراقية؟

٤ - ما هي متحولات الثقافة العراقية في التبادل الاجتماعي والاقتصادي؟

ولأهمية البحث فقد تم تحديد المستوى الفكري والمعرفي للرمز في التبادل الاجتماعي، فضلاً عن ما تم اعتماده من رؤيا ومعرفة مؤثرة في الزمن المعاصر، وايضا معرفة مستويات التبادل عبر الهبة والهدايا، كما يهدف البحث إلى التعرف على دور الرمز في تحريك الساكن للتبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية.

تعريف المصطلحات:

١ - الرمز: هو الذي يعبر عن درجة عليا من التجريد الفكري لأنه يحيل القضية إلى صورة رياضية بحتة، هذا إلى جانب ما للرموز من خصائص هامة في امكانية التداول العلمي. (علي عبدالمعطي محمد، ١٩٧٧، ص ٢٤١)

٢ - التبادل الاجتماعي: نظرية اجتماعية نفسية ورؤيا اجتماعية تفسر التغير والاستقرار الاجتماعي كعملية تبادل تفاوضية بين الأطراف المختلفة، كما تطرح هذه النظرية فكرة أن العلاقات الإنسانية تنشأ من حسابات غير موضوعية للتكلفة والمنفعة ومن مقارنة البدائل. وترجع جذور نظرية التبادل الاجتماعي إلى الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع. وكثيرا ما تستخدم هذه النظرية اليوم في عالم الأعمال. (د. ابراهيم عثمان، ٢٠١٠، ص ٣٥)

٣ - الثقافة: هي الكل المركب من العادات والقيم والمعتقدات والفنون والممارسات والاعمال والتي يزاولها مجموعة من الافراد في مجتمع ما، او هي سلوك اجتماعي ومعياري موجود في المجتمعات البشرية، تعدّ الثقافة مفهوماً مركزياً في الأنثروبولوجيا، وهي تشمل نطاق الظواهر التي تنتقل من خلال التعلم الاجتماعي في المجتمعات البشرية. (Macionis, John J , 2011 , p. 53)

اولاً - التبادل بين الأسر والعائلات (الهبة والهدايا) يعد التبادل الاجتماعي بين الأسر والعائلات أحد الأشكال الأساسية لبناء العلاقات الاجتماعية وتعزيز التضامن الجمعي، خاصة في المجتمعات ذات البنية القرابية القوية مثل العراق، وتمثل الهبات والهدايا جزءاً أساسياً من هذا التبادل، حيث تتجاوز قيمتها المادية لتعبر عن روابط رمزية عميقة تشمل الاحترام والالتزام المتبادل، وإعادة إنتاج البنية الاجتماعية، أن التبادل ليس مجرد عنصر اقتصادي، بل هو فعل اجتماعي متكامل يتضمن التزاماً بالإعطاء والتلقي والرد وفي السياقات الاجتماعية العراقية، نجد أن تبادل الهدايا في المناسبات مثل الأعراس، والوفيات، وأعياد الأضحى والفطر، يمثل واجباً أخلاقياً يعبر عن الولاء والانتماء واحترام الآخرين، "وفي المجتمعات التقليدية (الكلاسيكية) العراقية، يعتبر الامتناع عن التبادل الاجتماعي فعلاً ينطوي على معانٍ اجتماعية خطيرة" (Maus, 2002, p. 13). حيث قد يفسر كنوع من القطيعة أو فقدان الاحترام، وهو ما يعزز البعد الرمزي لهذا التبادل، كما أن لعلاقة القرابة دوراً مركزياً في تنظيم هذه العمليات، بحيث ينتقل التبادل الاجتماعي أحياناً وفقاً لتسلسل هرمي يعكس بنية الأسرة أو المكانة الاجتماعية داخل العشيرة. في الثقافة العراقية، لا يعتبر التبادل الاجتماعي مجرد هدية عابرة، بل هي فعل بكامنه ودخله طيف واسع من الرموز والدلالات الاجتماعية، فحين يقدم أحد أفراد العائلة هدية لآخر، خصوصاً في المناسبات الدينية أو الاجتماعية كالزواج والولادة والشفاء من المرض، فإن هذا الفعل يتجاوز البعد المادي ليحمل مضامين تتعلق بالبنية والمكانة والاعتبار والانتماء، "والتبادل الاجتماعي في هذا السياق يعتبر وسيلة لتقوية النسيج الاجتماعي ويطلق عليها مصطلح المعاملة الرمزية، أي تبادل لا يقاس بالقيمة بل بالمعنى الثقافي والدلالي" (Cheal, 1988, p. 11) فعلى سبيل المثال، الهدايا التي ترسل من المدينة إلى الريف أو من الخارج إلى الداخل العراقي، تعد علامة على الحنين والولاء للأسرة الأصلية، مما يجعلها مرموقة حتى وإن كانت بسيطة. في كثير من الأحيان، يتم التبادل ضمن طقوس معينة ترافقها كلمات محددة، وأحياناً حتى بإجراءات خاصة كلف الهدية بقماش تقليدي كالشماغ أو الشيلة، ما يؤكد أن الهدية ليست منفصلة عن التراث الثقافي ويمكن هنا اعتبار هذه الأفعال نوعاً من العرف، أي نظام غير مكتوب يحتم الالتزام بأفعال معينة لضمان تماسك الجماعة، وفي العائلة العراقية يرسخ التبادل في المناسبات مبدأ الرد بالمثل، "لكنه لا يفهم بمفهوم السوق الاقتصادي بل بمفهوم الواجب الأخلاقي، على سبيل المثال حين تقدم عائلة ما هدية في عرس فإنها تنتظر ضمناً هدية مماثلة في مناسبة لاحقة" (Cheal, 1988, p. 51). وهذا التبادل المتكرر هو ما يبقي الحسابات الاجتماعية مفتوحة ويديم العلاقات الأسرية لا يقتصر التبادل الاجتماعي داخل الأسرة العراقية على وظيفة التضامن والتقارب فحسب، بل يستخدم أحياناً كوسيلة رمزية لتأكيد المكانة الاجتماعية داخل نفس العائلة أو بين العائلات المتقاربة، ففي كثير من الحالات تكون طبيعة الهدية وقيمتها وطريقة تقديمها مؤشرات غير مباشرة على المرتبة الاجتماعية والاقتصادية للواهب والمهدى إليه، وهي ظاهرة شائعة في الطبقات العليا والمتوسطة في المجتمع العراقي، ففي الأعراس مثلاً غالباً ما تدون قائمة بالهدايا المقدمة من الأقارب، ليس لغرض الشكر فحسب بل كنوع من التوثيق الذي يستعاد لاحقاً عند رد الهبة مما يبقي العلاقة محكومة بمنطق التبادل المستمر. وفي السياق العراقي يعد التبادل الاجتماعي المقدم من كبير العائلة أو الشخص الأعلى مكانة رمزية أكثر من ما هو مادي، فعندما يقدم الأب أو الجد مبلغاً مالياً كبيراً في مناسبة زواج أحد الأحفاد، أو يقدم لهم قطعة مصوغة من المصوغات الذهبية الرمزية المعبرة، فإن هذا الفعل يفسر كمباركة معنوية وإعلان ضمني عن استمرار سلطته الأبوية، أما في العائلات ذات الطابع العشائري فإن الهبات تأخذ طابعاً جماعياً، حيث يقدم شيخ العشيرة الهدية باسم العائلة كلها، ما يعزز موقعه التمثيلي ويعيد التأكيد على الهيكل الهرمي للعلاقات، وعليه تصبح الهبة وسيلة لا فقط للتقارب بل لترسيخ السلطة وإعادة إنتاج الترتيب الداخلي، "كما أن الفروقات بين الهبات تستخدم كأداة للفصل بين الطبقات داخل نفس الأسرة، فمثلاً قد تعطى هدية رمزية فقط لأحد الأقارب من ذوي الدخل المحدود" (حمودي، ٢٠١٠، ص ٨٣). بينما تخصص هدايا باهظة لأفراد آخرين في مواقع اجتماعية مرموقة، هذا التفاوت ليس عفويّاً بل يعبر عن فهم اجتماعي مشترك لما يسمى باللباقة الطبقيّة في التبادل أو (والتبادل الطبقي المرتبّي). إن التبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية لا يمنح بمعزل عن الطقوس، بل يقدم غالباً ضمن سياقات احتفالية واجتماعية ويضفي عليها طابعاً رسمياً يكرس أهميتها، وهذه

الطقوس تتنوع بحسب نوع المناسبة لكنها تتشابه في كونها توظف فعل الإعطاء بسلوكيات لفظية وجسدية محددة تعزز القيمة الرمزية للهبة، على سبيل المثال في حفلات الخطوبة أو الزواج تقدم الهدايا من أسرة العريس إلى العروس وأهلها ضمن مراسيم معروفة تشمل كلمات ترحيب ولبس تقليدي ومراسم استقبال يشارك فيها الكبار قبل الصغار، وتستخدم بعض الرموز التقليدية كوسيط للهدايا مثل تقديم المال والمصوغات الذهبية في أوان نحاسية أو تغليف الهدايا بوشاحات مطرزة تعرف محلياً باسم الخمار، مما يضيف بعد جمالي أو احتفالي على الفعل، ويحوّله من مجرد تبادل مادي إلى حدث اجتماعي رمزي، وتبرز هذه الطقوس بوضوح خلال شهر رمضان أو عيد الأضحى، حيث تقدم الهدايا ضمن زيارات عائلية تشمل توزيع التمر والحلويات مع عبارات مباركة دينية" (الزبيدي، ٢٠١٣، ص ١٠٢). وغالباً ما ترتبط هذه الطقوس بالنية الطيبة ورضا الله، مما يعكس الامتزاج الرمزي بالديني في بنية التبادل. وفي بعض الحالات تتم الطقوس بتوقيت محسوب بدقة، على سبيل المثال يشترط أن يصل التبادل الاجتماعي في وقت معين قبل موعد المناسبة، وأي تأخير يعتبر تقصير وكذلك يراعى أن لا تقدم الهبة بيد واحدة أو بطريقة مستعجلة، بل ترافق غالباً بكلمات مثل هذه على العين والراس، مما يضيف عنصر الأدب الاجتماعي إلى الطقس، وبالتالي فإن هذه الطقوس ليست تزيينا للفعل بل هي جزء لا يتجزأ من بنيته. كما يعتبر التبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية وسيلة فعالة للحفاظ على التماسك الأسري، خصوصاً في الأوقات الحرجة مثل الأزمات الاقتصادية والوفاة والمرض والنزاعات العائلية، فحين تمر إحدى العائلات بأزمة، يكون تقديم الهبة سواء كانت مالية أو عينية شكلاً من أشكال التضامن، كما تستخدم كأداة رمزية لإعادة وصل ما انقطع أو دعم من تضرر، "وهو ما يعكس قوة الروابط الاجتماعية اللامرئية، عندما يتعرض أحد أفراد العائلة لحدث أو فقدان تسرع العائلة الممتدة لتقديم الدعم المالي أو المعنوي" (الحسني، ٢٠١٥، ص ٥٥). وغالباً ما يكون هذا الدعم مصحوباً بعبارات تقليدية مثل هذا دين الأخوة أو ما بيناتنا حساب، مما يشير إلى نفي الطبيعة الاقتصادية للتبادل وتأكيد البعد الرمزي وتظهر هذه السلوكيات دور الهبة كأداة لإعادة التوازن الاجتماعي، إذ تساعد في إعادة دمج الشخص المتضرر داخل النسيج العائلي، وتجنب الشعور بالعزلة أو الهوان، مثل هذه الأفعال تعيد بناء الكرامة ضمن الجماعة، من خلال ما تسميه بالكرامة الجماعية المعاد إنتاجها عبر الهبة. ويلاحظ أيضاً أن النساء في الثقافة العراقية يؤدين دوراً محورياً في هذا النوع من التبادل، خصوصاً في حالات الولادة والمرض والوفاة، إذ تقوم النساء بتنسيق الهدايا الجماعية كإرسال أطعمة أو تجهيزات منزلية مما يعكس دورهن في إدارة علاقات القرابة واستدامتها، ولا يمكن فهم طبيعة التبادل العائلي في العراق دون النظر إليه كمنظومة أخلاقية تُفعل في لحظات الأزمات، وتبقي الروابط حية وفاعلة حتى في أشد الأوقات تعقيداً، لا يقتصر التبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية على التبادل المادي أو التعبير الرمزي اللحظي، بل يمتد ليؤدي دوراً عميقاً في عملية نقل القيم والمفاهيم والسلوكيات بين الأجيال، إذ إن تقديم الهدايا ضمن الأسرة كثيراً ما يرتبط بترسيخ أدوار اجتماعية معينة، وتعليم الأبناء قواعد العطاء والاحترام والانتماء، ففي مناسبات مثل الأعياد أو الزيارات العائلية، يحرص على إشراك الأطفال في عملية تقديم الهدايا أو تجهيزها كنوع من التربية الرمزية، حيث يتعلم الطفل أن فعل الإعطاء لا ينفصل عن الأخلاق والتقاليد، "ومن الملاحظ أن الوالدين خصوصاً في المناطق التقليدية من العراق، يستخدمان التبادل الاجتماعي كأداة للتنشئة على الولاء العائلي على سبيل المثال" (الزبيدي، ٢٠١٣، ص ٨٣). حين يمنح الابن البكر هدية خاصة في مناسبة أسرية، فإن هذا التمييز يحمل في طياته معاني كثيرة إشارة إلى موقعه المستقبلي داخل البنية العائلية. التبادل الاجتماعي ليس محصور فقط داخل الأسرة أو بين العائلات، حيث انه يلعب دوراً حيويّاً في السلم الاجتماعي كوسيلة لتقوية الروابط بين الفئات الاجتماعية المختلفة، مثل بين الأثرياء والفقراء، أو بين الزعماء والمواطنين، ففي هذا السياق يستخدم الأفراد ذوو المكانة الاجتماعية المرتفعة الهبات كأداة لتأكيد مكانتهم تعزيز التماسك بين مختلف المراتب الاجتماعية في الثقافة العراقية، إذ ينظر للتبادل ودعم ولاء الجماعات الأدنى، بما يعكس مفهوم الرأسمال الاجتماعي، فعلى سبيل المثال في المناسبات العامة أو الدينية، "يقوم الأشخاص البارزون في المجتمع بتقديم هدايا أو دعم مالي للأسر المحتاجة، وهو ما يعزز من صورتهم الاجتماعية ويخلق نوعاً من التبعية الإيجابية" (الراوي، ٢٠١١، ص ٥٨). كذلك أن الهبة في هذا السياق تستخدم كوسيلة لإدارة السلطة الرمزية حيث يمكن أن تؤدي إلى بناء الولاء والاحترام من قبل الفئات الأدنى ولهذا السبب، غالباً ما يتم تقديم الهبات في الأعياد والمناسبات الرسمية بطريقة تثبت روح التضامن الاجتماعي، ويجدر بالذكر أن التبادل هنا لا يقتصر على المادة فقط، بل يشمل أيضاً تقديم الخدمات أو تسهيل الوصول إلى الموارد مما يوسع مفهوم الهبة في الثقافة العراقية ليشمل التبادل الرمزي والاجتماعي الواسع، وهنا تساهم الهبة في تعزيز التكامل الاجتماعي بين المراتب المختلفة، وهو عامل أساسي لاستقرار المجتمع العراقي التقليدي. إن التبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية يشكل نظاماً اجتماعياً رمزياً معقداً يرتبط بمجالات عدة من الحياة الأسرية والاجتماعية، ومن خلال التحليل يتبين أن التبادل الاجتماعي ليس مجرد تبادل مادي بل هو فعل رمزي يعبر عن القيم، الولاء، والانتماء، ويستخدم للحفاظ على التماسك الاجتماعي وإعادة إنتاج البنى الاجتماعية وتقوية العلاقات بين الأفراد والعائلات

والطبقات المختلفة، كما ان التبادل الاجتماعي يؤدي وظائف متعددة منها ترسيخ الروابط وبناء الثقة، وحتى التعبير عن التمايز الطبقي داخل الأسرة. خاصة في المناسبات الدينية والاجتماعية.

ثانياً - التبادل بين الأنساب (الهبة والهدايا) في المجتمعات التقليدية مثل العراق يشكل التبادل الاجتماعي بين الأنساب مثل العمومة والأخوال وأبناء العم وأبناء الخال... الخ، عنصراً جوهرياً في بناء وحدة القرابة، ويتخذ غالباً شكل الهبات والهدايا المتبادلة في المناسبات الاجتماعية والدينية، ولا يقتصر هذا التبادل على تعزيز الروابط الأسرية بل يتعداه إلى إنتاج هوية جماعية ونسقية تعبر عن الانتماء والولاء البنيوي للعائلة، وأشار عدد من الباحثين الى أن "التبادل بين الأقرباء ليس اقتصادياً فحسب بل هو واجب أخلاقي ومقدس يحفظ توازن العلاقات بين الأنساب" (Mauss, 2002, p. 14). وهذا التبادل يمثل آلية اجتماعية لإعادة إنتاج لنظام القرابة وضمان استمراره، لا سيما حين تتم ممارسته بشكل دوري ومنظم في الأعياد، الأعراس، والمآتم. تأخذ هذه الممارسات أبعاداً رمزية قوية على سبيل المثال، حين يقدم ابن العم هدية في مناسبة زواج ابن عمه، لا ينظر إليها على أنها مجرد مجاملة بل تأكيد على وحدة الدم والنسب ويتوقع ردها في مناسبة مشابهة، وهذا النمط من التبادل المتكافئ والمستمر يبقي العلاقات بين العائلات في حالة من التوازن الاجتماعي المتبادل، علاوة على ذلك فإن الامتناع عن المشاركة في هذه الطقوس التبادلية يفسر في كثير من الأحيان على أنه نوع من القطيعة أو الإنكار الرمزي للنسب، مما يجعل من الهبة أداة رمزية قوية لها تبعات اجتماعية خطيرة في حال الإخلال بها. كما يعد التبادل الاجتماعي وسيلة مهمة لتأكيد الانتماء إلى النسب والمحافظة على تماسكه، خصوصاً في المجتمعات التي تقوم بنيتها الاجتماعية على روابط الدم والقرابة، كما ان التبادل بالهدايا بين أبناء العم وأبناء الخال على سبيل المثال لا ينظر إليه فقط كنوع من الكرم أو المجاملة، بل كفعل رمزي يعزز شرعية النسب، ويعيد إنتاج الرابطة الأسرية عبر الفعل الاجتماعي المتكرر، كما ان الهبة بين الأقرباء تسهم في الحفاظ على البنية الهرمية للعلاقات داخل العائلة الممتدة، "وتستخدم لتثبيت شرعية الأنساب ولا سيما في المجتمعات غير الرسمية التي تعتمد على التقاليد أكثر من القانون" (Goody, 1976, p. 71) مثل هذه الأفعال تلاحظ في العراق بوضوح خاصة في المناطق الريفية والعشائرية، حيث تتم المعاملة بين أبناء العم في المناسبات بتكرار منضبط يتجاوز القيمة المادية، أن هذا النوع من التبادل يرسخ ليس فقط الأنساب، بل أيضاً الدور الاجتماعي الذي يلعبه كل فرد ضمن هذه البنية، وهو ما يجعل الهبة فعلاً تواصلياً يحمل بنية اجتماعية ضمنية، كما أن النساء رغم أنهن غالباً ما يعتبرن في الخارج من سلالة النسب بعد الزواج، إلا أن مشاركتهن في الهبات خصوصاً في الأعراس أو زيارات التهنة، يعيد ربطهن بشكل غير مباشر بمصدر النسب، مما يثبت مرونة هذا النظام الرمزي. ويستخدم التبادل بين الأنساب في الثقافة العراقية كوسيلة فعالة لحفظ الذاكرة الجماعية للعائلة، بحيث تتحول كل هبة إلى علامة في سجل غير مكتوب من العلاقات القرابية التي تتكرر وتستدعي عند كل مناسبة جديدة، فالهبة لا تنسى بل تدون في الذاكرة الجمعية ويعاد تذكرها واستدعاؤها في اللحظات المناسبة، "والهبة لا تختزل إلى وقت تقديمها، بل تعيش كحدث ذهني واجتماعي في وعي المستقبل، وتستخدم لاحقاً كمرجع لتحديد من يجب رد الجميل له، أو من يجب أن يعامل باحترام" (Bloch, 1998, p. 67). في المجتمع العراقي تتناقل معلومات دقيقة عن من قدم هذا ومتى ولماذا وغالباً ما يستخدم هذا السجل غير المكتوب لاتخاذ قرارات تخص علاقات الزواج الشراكات أو حتى المواقف السياسية داخل العائلة. فعلى سبيل المثال إذا قام أحد أبناء الخال بتقديم هدية كبيرة لعائلة ابن العم في مناسبة زواج، فإن ذلك يسجل ضمناً في دفتر الذمم الأخلاقية، ويتوقع الرد عليه بشكل مماثل أو أفضل عند تكرار المناسبة، وإلا فيسيفقد الطرف المقصر مكانته المعنوية داخل البنية القرابية، وهذه الذاكرة التبادلية تنتج ما يُعرف بالهوية القرابية، وتعيد توجيه العلاقات بين الأنساب عبر سلسلة من المواقف المتراكمة (الخالدي، ٢٠٢٠، ص ٤٥). كما أن نسيان الهبة أو تجاهلها يعتبر شكلاً من أشكال القطيعة الرمزية، وللنساء دور في صناعة هذه الذاكرة، بالأخص عبر سرد القصص داخل المجالس النسائية أو أثناء التحضيرات للمناسبات، حيث يستعرض أرشيف طويل يتحدث عن أعطى ومتى وكيف، ويستخدم هذا السرد لتعليم الأجيال الأصغر عن شبكة الالتزامات التي تحكم علاقتهم بأقاربهم. يشكل التبادل بالهدايا بين الأنساب ركيزة أساسية لبناء روابط جديدة خاصة في سياق المصاهرة، إذ تستخدم الهبة ليس فقط للتعبير عن حسن النية بل أيضاً لدمج العائلات في شبكة من الالتزامات العائلية التي تعزز من شرعية الزواج وتوسع شبكة النسب، والتبادل في سياق الزواج ليست فقط واجباً اجتماعياً بل أداة لخلق التحالفات، حيث تتحول علاقة النسب من رابطة بيولوجية إلى شبكة سياسية واقتصادية، وتلاحظ هذه العملية خلال المراحل المختلفة للزواج بدءاً من الخطوبة ومروراً بالعقد وانتهاءً بجفل الزفاف" (Goody, 1976, p. 32). حيث تقدم هدايا متنوعة من أهل العريس لأقارب العروس، وفي بعض الأحيان يتم الرد بهدايا مقابلة. تتجاوز هذه الهدايا قيمتها المادية لتصبح أدوات تمثل الاحترام والتقدير والالتزام الدائم تجاه عائلة النسب الجديدة، وغالباً ما تخصص هدايا معينة لأشخاص محددين، وهذه ليست عشوائية بل تعكس بنية القوة والتراتبية داخل النسب، وعند حدوث الزواج بين أبناء العم أو أبناء الخال، يصبح التبادل ذا وظيفة مزدوجة، وهي تأكيد التحالف وتجديد العهد الرمزي بين الفرعين خصوصاً إذا كانت هناك خصومات

أو فترات انفصال سابقة، كما أن الامتناع عن التبادل في هذا السياق قد يفسر كعدم اعتراف فعلي بشرعية الزواج أو ضعف في الرغبة في استمرار النسب، وتتجلى أهمية هذه التبادلات بشكل خاص في المجتمعات القروية والعشائرية العراقية، حيث يتداخل الزواج بالهيكل الاجتماعي بشكل مكثف، حيث يعد كل تبادل هدية في هذه المناسبات بمثابة إعلان للولاء، أو إثبات للعلاقة المستمرة بين الأنساب. ولا يعتبر التبادل بين الأنساب وسيلة احتفالية فحسب بل يستخدم أيضاً كأداة لإصلاح العلاقات وفرض النزاعات بين فروع العائلة الواحدة وبالأخص بين أبناء النسب، حين تقع خلافات بين أبناء العم أو الخال، فإن المبادرة بهدية تعتبر خطوة أولى رمزية لإعادة المياه إلى مجاريها، والهدية في حالات الصراع لا تقدم كاعتذار مباشر بل كفعل رمزي يعيد فتح قناة التواصل، ويمنح الطرف الآخر فرصة للرد بالمثل من دون إحراج" (الراوي، ٢٠١١، ص ٥٨). وهذا الفهم ينسجم مع الأعراف العراقية حيث ترسل أحياناً هدايا تقليدية مثل السجاد أو المواد الغذائية أو حتى الذبائح، إلى منزل الطرف الآخر، ويعتبر قبولها بمثابة تجاوز عن الخلاف السابق. هنالك وسطاء من داخل النسب، وغالباً ما يكونون من كبار السن أو ذوي المكانة، يلعبون دوراً في ترتيب هذه المبادرة ما يضيف عليها بعداً اجتماعي أكثر، فتقديم الهدية في هذه الحالة لا يكون شخصياً فقط بل يتم باسم العائلة بأكملها، وهذا ما يجعل التبادل الرمزي بين الأنساب في العراق وسيلة فعالة لإنهاء التوترات دون اللجوء إلى القانون أو القضاء العشائري الصارم، في بعض الحالات، تكون الهدية مصحوبة بعبارة تقليدية تعزز المعنى الرمزي، وهذه العبارات تزيل الضغط عن الطرف الآخر لتقبل الهدية ومبادرة السلام.

ثالثاً - التبادل بين المراتب الاجتماعية في الثقافة العراقية يظهر التبادل بين المراتب الاجتماعية كآلية تفسر العلاقة بين الفئات العليا كالزعماء وكبار العائلات ورجال الأعمال وبين الفئات الدنيا كالفقراء والمحتاجين، ويتركز غالباً هذا التبادل في الهبات والتبرعات والرعاية الرمزية، سواء في المناسبات العامة أو الخاصة، وهذه الممارسات تعكس نظاماً من القيم والمعايير الرمزية التي تنظم العلاقة بين الطبقات، وهذا التبادل يلعب دوراً محورياً في بناء السلطة والهيمنة داخل البنية الاجتماعية في العراق" (Gouldner, 1960, p. 171). ويستخدم التبادل كوسيلة لإظهار النفوذ الاجتماعي وتكريس صورة دعم الجماعات الأدنى، وهذا ما يسمى بالرأس مال الاجتماعي والذي يبني عبر أعمال العطاء والتبادل، مما يولد ثقة واستقراراً في البنى الاجتماعية، وفي العراق غالباً ما يقدم المسؤولون والزعماء المحليون مساعدات خلال الأعياد والمناسبات كأداة لتعزيز ولاء الجمهور وإعادة إنتاج السلطة مجدداً. تتخذ العلاقات بين الطبقات الاجتماعية طابعاً تبادلياً غير متكافئ، حيث يقدم أصحاب السلطة الاقتصادية أو السياسية مثل التجار وشيوخ العشائر والمسؤولون الهبات أو الخدمات، بينما تقدم الطبقات الأدنى في المقابل الولاء والطاعة الاجتماعية، هذا النمط من التبادل يعيد إنتاج الترتيب الطبقي الاجتماعي ويحافظ عليه بمرور الزمن، "التبادل بين الطبقات ليس بريئاً، بل هو استراتيجية لإعادة إنتاج رأس المال الرمزي وضمان التفوق الطبقي" (الحسني، ٢٠١٥، ص ١٠٢). يظهر ذلك في تقديم الزعماء المحليين المساعدات الغذائية أو تيسير فرص العمل للطبقات الدنيا مقابل استمرار احترامهم ودعمهم، كما أن التبادل في المجتمعات الطبقيّة يستخدم لتعزيز الترتيب الاجتماعي عبر أفعال ظاهرها الكرم لكن باطنها ضبط التفاوت الاجتماعي، ويتجلى هذا في حفلات العزاء الكبرى أو الولائم التي يقيمها الأثرياء للعامة، حيث لا تقدم الوجبة فحسب، بل يعيد الحدث بأكمله إنتاج التسلسل الاجتماعي. التبادل بين المراتب الاجتماعية لا يخضع بالضرورة لقوانين رسمية، بل يتحرك ضمن شبكات غير مكتوبة من الالتزامات والعرف الاجتماعي، حيث يتوقع من الأغنياء والرؤساء الاجتماعيين ممارسة الكرم تجاه من هم أدنى مرتبة، بينما يتوقع من الطبقات الدنيا تقديم الولاء والاحترام مقابل ذلك، أن الروابط الاجتماعية القائمة على الهدية تنشئ شبكات غير رسمية لكنها فعالة تضمن استمرار النفوذ والسيطرة عبر تراكم الديون الرمزية، في العراق كثير من العائلات الفقيرة تعيد ولاءها للأثرياء أو الزعماء، لأنهم يتوقعون استمرار الهبات أو الدعم عند الحاجة. أن المجتمعات التي تعتمد على التفاوت في التبادل تطور تدريجياً علاقات تبعية تصبح جزءاً من النظام الاجتماعي، حتى وإن لم تكن مصاغة في نصوص قانونية، التبادل بهذه الطريقة يصبح جزءاً من الثقافة اليومية ويعيد تشكيل العلاقات بين الطبقات دون حاجة لأي نصوص رسمية، بل عبر تكرار الأفعال الرمزية والمعايير الاجتماعية المتوارثة. فضلاً عن أن عملية التبادل التي تحصل بين المراتب الاجتماعية لا تقتصر على بعدها الاجتماعي أو الاقتصادي فقط، بل تتحول إلى وسيلة سياسية فعالة لتأمين الولاء الطبقي والسياسي من الطبقات الدنيا تجاه الطبقات العليا، سواء كان ذلك عبر زعماء العشائر أو رجال الدين أو المسؤولين السياسيين، ان الأثرياء أو أصحاب السلطة يستخدمون التوزيع الرمزي للهبات كوسيلة لشراء الصمت، الولاء، أو الدعم السياسي في الأوقات الحرجة" (الخالدي، ٢٠٢٠، ص ٧٣). وفي العراق كثيراً ما ترتبط مساعدات الأغنياء للفقراء بفترات الانتخابات، حيث يتحول التبادل إلى شكل من أشكال الرشوة الاجتماعية غير المعلنة. إن هذا التبادل بين المراتب الاجتماعية يعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية على شكل تبعية متبادلة ظاهرها الكرم وباطنها السيطرة السياسية، كما ان فئات واسعة من الفقراء يرتبطون ارتباطاً مباشراً بالوجهاء أو السياسيين الذين يمدونهم بالمساعدات في المناسبات، ما يخلق علاقة ولاء مشروطة، وفي الأحياء الفقيرة يتم تقديم الحصص الغذائية أو رواتب شهرية رمزية من قبل بعض الشخصيات المعروفة، وهي طريقة لربط الفقراء بمنظومة مصالح

سياسية أو عشائرية أكبر، وتستخدم هذه التبادلات لاحقاً لتجيش الولاءات في الانتخابات أو الصراعات المحلية، ويسهم هذا النوع من التبادل في إعاقة الحراك الاجتماعي أكثر مما يدعمه، إذ غالباً ما يستخدم التبادل كوسيلة لإبقاء الطبقات الدنيا في مواقعها ومنعها من تجاوز الحواجز الطبقيّة، من خلال تقديم المساعدات الرمزية التي تشعرها بالاكتماء بدلاً من التمكين، "أن التبادل الرمزي يستخدم أحياناً كأداة لإدامة الفوارق، حيث يجعل المستفيد يشعر بالامتنان بدلاً من السعي لتغيير موقعه الطبقي" (Becker, 1963, p. 91). حيث يتضح هذا في أن بعض الوجهاء يقدمون الهبات كوسيلة لإسكات الاحتجاجات الاجتماعية، أو تخفيف الشعور بالظلم الطبقي مؤقتاً. إن هذا التفاوت في التبادل يعيد إنتاج التفاوت في الفرص، مما يؤدي إلى تثبيت الفقر كجزء من البنية الاجتماعية في العراق، فالتبادل بين الطبقات لا يقرب المسافات بقدر ما يعيد إنتاجها من خلال إعادة توجيه الحاجة إلى ولاء بدلاً من استحقاق، لذلك رغم كثافة الهبات والتبادلات بين المراتب إلا أن فرص الحراك الاجتماعي تبقى محدودة، لأن العلاقة بين العطاء والقبول غالباً ما تبقى كل طرف في موقعه دون إحداث تغيير جذري في البنية الاجتماعية، وكل هذه الآليات المذكورة مسبقاً تعمل على إعادة إنتاج العلاقات التقليدية بين المراتب العليا مثل السياسيين أو رجال الدين وزعماء العشائر وكبار التجار وبين المراتب الدنيا، حيث يتوقع من الطبقات الأدنى القبول بهذه الديناميكية الاجتماعية بوصفها جزءاً من الثقافة اليومية.

رابعاً - التبادل بين المراتب الاقتصادية التبادل بين المراتب الاقتصادية يشير إلى العمليات التي يتم من خلالها تقديم الموارد المالية أو العينية بين طبقات اقتصادية مختلفة، سواء بين الأغنياء والفقراء أو بين المستثمرين والعمال، وهذا التبادل لا يقتصر على الجانب الاقتصادي فقط، بل يحمل دلالات اجتماعية ورمزية تعكس الفوارق الطبقيّة وتعيد إنتاجها، أن الاقتصاد في المجتمعات التقليدية لا يفصل عن البنية الاجتماعية، حيث يستخدم التبادل كآلية لبناء العلاقات الاجتماعية والسيطرة في العراق، وتتفاعل المراتب الاقتصادية من خلال الهبات والقروض والمساعدات التي تستخدم لتكريس مكانة الطبقة الغنية. في العراق غالباً ما يستخدم التبادل الاقتصادي بين الطبقات الغنية والفقيرة كوسيلة للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي ومنع النزاعات الطبقيّة، فالهبات والقروض غير الرسمية والمساعدات المالية، والتي تقدم في أوقات الأزمات الاقتصادية لكنها تحمل أيضاً بعداً سياسياً واجتماعياً يعزز التبعية، أن أنظمة التبادل في المجتمعات التقليدية لا ينظر إليها فقط من منطلق مادي بل كآليات للحفاظ على النظام الاجتماعي، حيث يتوقع من الأغنياء تقديم المساعدات للفقراء في المناسبات الدينية والاجتماعية، ما يحافظ على نوع من التوازن الاجتماعي، كما أن التبادل الاقتصادي بين الطبقات مرتبط بالسلطة الاجتماعية التي تُمارس من خلال السيطرة على الموارد الاقتصادية" (Goody, 1976, p. 11). في العراق تتمثل هذه السيطرة في قدرة الطبقات العليا على تحديد من يحصل على فرص اقتصادية أو دعم مادي. في السياق العراقي تلعب القروض والهبات دوراً مركزياً في بناء شبكات اقتصادية غير رسمية بين الطبقات الاقتصادية، حيث لا تقتصر على الجانب المالي فحسب بل تمثل روابط اجتماعية توطر التبعية والولاء، فإن "القروض والهبات تستخدم كأدوات للتبادل الاجتماعي الذي يربط الأفراد داخل المجتمع، ولا تعتبر مجرد عمليات مالية (الخالدي، ٢٠٢٠، ص ٤٥). في العراق، كثير من الفقراء يعتمدون على القروض من الأغنياء أو رجال الأعمال كشبكة أمان اجتماعي، حيث أن الشبكات الاقتصادية تعتمد بشكل كبير على الثقة المتبادلة، والتي تبنى من خلال التبادلات المستمرة مثل القروض والهبات، وهذا يعني أن العلاقات الاقتصادية لا تنفصل عن العلاقات الاجتماعية، بل تتشابك معها في النسيج الاجتماعي العراقي، في الواقع تستخدم القروض كوسيلة للحفاظ على النفوذ والهيمنة الاقتصادية، حيث يرتبط القرض بالتزامات غير رسمية تلزم المستفيد بالمحافظة على علاقته مع الممول. وتستخدم في العراق عمليات التبادل الاقتصادي كأدوات لتعزيز علاقات النفوذ والسلطة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، والهبات والقروض لا تمنح فقط كدعم مادي بل كمارسات ترسخ تحالفات سياسية واجتماعية وتضمن استمرار التبعية، أن الاقتصاد غير الرسمي مرتبط بشبكات اجتماعية تتحكم في توزيع الموارد عبر علاقات الثقة والتبعية حيث يشكل التبادل الاقتصادي بين الطبقات أداة للحفاظ على سلطة الطبقة الغنية وضمان الولاء الاجتماعي، والتبادل الاقتصادي يعكس ويعيد إنتاج الهياكل الاجتماعية والسياسية القائمة، حيث تتحول الموارد الاقتصادية إلى وسيلة للسيطرة الاجتماعية، ويلاحظ أن هذه الديناميات تجعل التبادل الاقتصادي ظاهرة معقدة تتجاوز مجرد توزيع المال لتشمل استراتيجيات للحفاظ على النفوذ والسلطة داخل المجتمع العراقي. يسهم التبادل الاقتصادي بين الطبقات الاقتصادية في العراق في تثبيت مستويات الفقر واللامساواة، حيث إن الهبات والقروض غالباً ما تستخدم كآليات لإبقاء الطبقات الدنيا في حالة تبعية مستمرة دون تمكين حقيقي، ويعمل التبادل الاقتصادي في المجتمعات ذات الفوارق الطبقيّة العميقة كآلية للحفاظ على الوضع القائم، مما يحد من فرص تحسين وضع الفقراء، وتستمر الفوارق الاقتصادية رغم كثرة أشكال الدعم، بسبب هذه الديناميات التبعية، كما أن "التبادل الاقتصادي يؤدي إلى تعميق الفجوة بين الأغنياء والفقراء لأنه يُقنع الفقراء بأنهم في حالة رضا نسبي، مما يمنعهم من المطالبة بحقوقهم الاقتصادية والاجتماعية وهذه العلاقات تؤدي إلى إدامة دائرة الفقر وعدم المساواة" (Parry & Bloch, 1989, p. 14). حيث يكون التبادل بين الطبقات أداة للتحكم الاجتماعي أكثر من كونه وسيلة لتحسين الظروف الاقتصادية.

إن دراسة الرمز والتبادل الاجتماعي في الثقافة العراقية تكشف لنا عن بنية اجتماعية عميقة تمتد جذورها إلى التقاليد والطقوس والعادات التي شكلت عبر قرون طويلة من التفاعل الحضاري والديني والقبلي، فالثقافة العراقية بوصفها نتاجاً لتراكم حضاري معقد ترتكز على جملة من القيم الرمزية التي تظهر في مختلف أشكال العلاقات الاجتماعية، سواء أكانت بين العائلات أو الأنساب أو المراتب الاجتماعية والاقتصادية، كما أن هذه العلاقات ليست مادية فحسب بل تنطوي على تبادل رمزي يعبر عن مفاهيم الشر والكرامة والانتماء والمكانة، والولاء، فالتبادل الاجتماعي في العراق لا يمكن قراءته بمعزل عن الرموز الثقافية التي تمنحه معنى، فالهبة على سبيل المثال، ليست مجرد تقديم شيء مادي بل هي فعل رمزي ينطوي على رسالة اجتماعية تتجاوز حدود القيمة الاقتصادية، أما الهدايا والولائم وطقوس الضيافة ليست سوى أمثلة على أفعالٍ تساهم في إعادة إنتاج الفعل الاجتماعي، وتثبيت مكانة الأفراد داخل النسق الاجتماعي. ترتبط الأنظمة الرمزية التي تحكم التبادل في الثقافة العراقية بشكل وثيق بالبنى العشائرية والقبلية، حيث يصبح التبادل وسيلة للحفاظ على التوازن بين الكرامة والهيبة، بين الأخذ والعطاء بين الأفراد والسلطة وبين الجماعات المتنوعة دينياً ومذهبياً وطبقياً، كما أن هذه الرموز تعيد إنتاج ذاتها باستمرار عبر الطقوس والمناسبات الاجتماعية التي تنقلها من جيل إلى آخر، مما يجعلها عنصراً أساسياً في فهم الثقافة العراقية، ومن خلال التعمق في الأمثلة الاجتماعية المتنوعة التي تناولها البحث، نجد أن التبادل الاجتماعي يعمل بوصفه آلية لتحقيق الاستقرار والتماسك الاجتماعي، لكنه في الوقت ذاته يعيد إنتاج الفوارق الطبقية والاجتماعية، إذ غالباً ما يكون التبادل بين المراتب الاجتماعية المختلفة خاضعاً لرموز التفوق والسيطرة أو التبعية، ومع ذلك تظل هذه العلاقات تقوم على الاحترام المتبادل ضمن أعرافٍ تضبطها قيم الشرف والتقدير. قد أظهر البحث أن التبادل في المجتمع العراقي يمكن فهمه ضمن نظريات الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة التي تؤكد أن التبادل لا يهدف فقط إلى تحقيق المنفعة، بل يتعلق بالهوية والانتماء وإدامة العلاقات، فالثقافة العراقية بما تحتويه من شبكة رمزية معقدة، توظف التبادل لتحقيق أغراض تتجاوز الظاهر الاجتماعي إلى العمق النفسي والروحي.

المصادر العربية:

- ١ - علي عبدالمعطي محمد، المنطق ومناهج البحث العلمي، (في العلوم الرياضية)، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية: ١٩٧٧، ص ٢٤١.
- ٢ - د. إبراهيم عثمان، د. سالم ساري، نظريات في علم الاجتماع، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٣٥.
- ٣ - مازن حمودي، البنية الاجتماعية في العراق التقليدي، دار الرافيدين، بيروت، (٢٠١٠)، ص ٨٣.
- ٤ - سعدي الحسني، الطقوس الشعبية في المجتمع العراقي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (٢٠١٥)، ص ٥٥.
- ٥ - كاظم الزبيدي، الأسرة العراقية بين التقليد والتحول، دار الوراق، بغداد، (٢٠١٣)، ص ١٠٢.
- ٦ - نوال الراوي، الأسرة والمجتمع في العراق الحديث، جامعة بغداد - كلية الآداب، (٢٠١١)، ص ٥٨.
- ٧ - زينب الخالدي، الذاكرة الجماعية في المجتمع العراقي التقليدي، دار الرافيدين، بغداد، (٢٠٢٠)، ص ٤٥.

المصادر الانكليزية:

- 1- Mauss, M. (2002). The Gift: The Form and Reason for Exchange in Archaic Societies. Routledge. p. 13.
- 2- Cheal, D. (1988). The Gift Economy. Routledge. p. 11.
- 3- Gouldner, A. W. (1960). The Norm of Reciprocity: A Preliminary Statement. American Sociological Review, 25(2), p. 171.
- 4- Parry, J., & Bloch, M. (1989). Money and the Morality of Exchange. Cambridge University Press. p. 14.
- 5- Goody, J. (1976). Production and Reproduction: A Comparative Study of the Domestic Domain. Cambridge University Press. p. 71.
- 6- Bloch, M. (1998). How We Think They Think: Anthropological Approaches to Cognition, Memory, and Literacy. Westview Press. p. 67.
- 7- Becker, H. (1963). Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance. Free Press. p. 91.
- 8- Macionis, John J; Gerber, Linda Marie (2011). Sociology. Toronto: Pearson Prentice Hall. p. 53